الآية رقم ١٩٨

الآية البيِّنة

لقد مات موسى الكاذب.. "بابو إلهي بخش" (المحاسب المتقاعد بلاهور)

تعلمون أيها القراء الكرام أن شخصا يُدعى إلهي بخش كان يعمل محاسبا في لاهور، وارتد – حين أعلنت أني المسيح الموعود بناء على وحي تلقيته من الله تعالى – وادّعى أنه موسى. وبيان ذلك أن "إلهي بخش" المذكور كان من مريديّ منذ فترة طويلة وكان يحضر قاديان كثيرا. وكان يعتبرني صادقا وملهَمًا من الله تعالى وكان يخدمني. وقد حدث ذات مرة أني كنت نائما في أمْرتْسَر بعد صلاة الفجر وكان وجهي مغطًّى برداء. فجاء شخص وشرع يدلِّك قدميّ، حين أزلتُ الرداء عن وجهي رأيت أنه "إلهي بخش" نفسه. الهدف من هذا الكلام هو أن إخلاصه كان قد بلغ حدا بحيث لم يكن يشعر بعار من أي نوع من الخدمة، بل كان يعتبر نفسه أبسط الخدام تواضعا وانكسارا. ولم يألُ جهدا في الخدمة المالية أيضا قدر استطاعته. فبقي في هذه الحالة من الإخلاص إلى ما شاء الله. وكان عندي أمل قوي أنه سيزداد كثيرا في الإخلاص. وكلما سافرت من قاديان إلى لدهيانه أو أنباله أو إلى أي مكان آخر لسبب ما، كان يذهب إلى هناك إذا وجد وقتا وفرصة. وفي كثير من الأحيان كان يرافقه صديقه المحاسب منشي عبد الحق، المحاسب أيضا. ثم بعد فترة من الزمن خطر بباله أنه يتلقّى إلهاما، وكانت هذه هي **البذرة السامة** التي بذرها القدر فيه. وبذلك بدأ التغير يطرأ على إخلاصه. وفي الزمن الذي **أمرني** الله تعالى أن آخذ البيعة من الناس ودخل في البيعة أربعون شخصا أو أكثر بقليل، وأعلنتُ بين الناس أن يبايعني كل من يؤمن بي إيمانا صادقا، تطرق الفساد إلى قلب "إلهي بخش" فور سماع ذلك، وجاءني في قاديان بعد فترة من الزمن مع صديقه منشي عبد الحق ليُسمعني إلهاماته. وفي

هذه المرة كان قلبُه قد قسا كثيرا، وكأنه شخص آخر وليس "إلهي بخش" الذي عهدناه. فبدأ يُسمعني بكل جسارة إلهاماته المكتوبة في دفتر صغير كان في جيبه. فسرد لي من إلهاماته: "رأيت في المنام أنك طلبتَ مني أن أبايعك، فقلت: لن أبايعك بل عليك أن تبايعني أنا." وبسبب هذا الحُلم مُلئ كبرًا وغرورا من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، وزعم أنه قد بلغ من الصلاح ما يغنيه عن بيعتي، بل إن عليّ أن أبايعه. ولكنها كانت وسوسة شيطانية تسببت في عثاره.

الحق أن الإنسان يرى في المنام الاستكبار والإنكار الكامن فيه كحديث النفس، فيظن الجاهل أنه من الله، بينما يكون هذا الإنكار ناشئا عن أفكاره الكامنة دون أن تكون له علاقة مع الله تعالى. فيهلك مئات الجهال بسبب حديث النفس فقط.

على أية حال، أسمعني "إلهي بخش" منامه بكل جسارة بينما كنت أتأسف على جهله لأني كنت أعلم يقينا أنه ليس إلا حديث النفس. ولكن ما دمت قد شعرت فيه بالكبر والعُجب ارتأيت أن نصحه غير مجدٍ. من المؤسف أن معظم الناس يعتبرون ما يجري على لسانهم في حالة النعاس كلامَ الله. وبذلك يُدخِلون أنفسهم في قائمة الذين تنطبق عليهم آيةُ: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

ليكن معلوما أن الكلام الذي يجري على اللسان – وإن لم يكن متنافيا مع قول الله وقول الرسول – لا يمكن أن يُعدَّ كلام الله ما لم يشهد عليه فعله ﷻ، لأن الشيطان اللعين الذي هو عدو للإنسان يريد أن يهلك الإنسان بطرق مختلفة، ومن أساليب هذا المضل أنه يلقي في قلب الإنسان بعضَ الكلمات ويؤكد له أنها كلام الله، فتكون عاقبة مثل هذا الشخص الهلاك.

فكل من ينـــزل عليه كلام لا توجد فيه العلامات الثلاثة التالية، فإن اعتباره هذا الكلامَ كلامَ الله إنما هو بمنـــزلة إلقاء نفسه إلى التهلكة.

أولا: يجب ألا يتنافى هذا الكلام مع القرآن الكريم. ولكن ذكر هذه العلامة سيبقى ناقصا دون اقترانها مع العلامة الثالثة التي سنتناولها لاحقا. بل الحق أنه لو لم توجد العلامة الثالثة لما ثبت شيء بالعلامة قيد البحث.

ثانيا: يجب أن يكون الذي ينـــزل عليه الكلام حائزا على تزكية النفس تماما ويكون من الفانين الذين تخلوا عن أهواء النفس كليا، واستولى على نفوسهم موت صاروا بسببه قريبين من الله وبعيدين عن الشيطان؛ لأن الإنسان يسمع صوت الأقرب إليه؛ فالذي يكون قريبا من الشيطان يسمع صوت الشيطان، ومن كان قريبا من الله يسمع صوت الله. إن كافة مساعي الإنسان هي من أجل **تزكية النفس**، وعليها ينتهي السلوك كله، أو بتعبير آخر إنها موت يحرق الشوائبَ الباطنية كلها. وحين يكمل الإنسان دربه يأتي دور التصرفات الإلهية. عندها **يُحيي** الله تعالى عبدَه - الذي يكون قد بلغ درجة الفناء بعد القضاء على الأهواء النفسانية - **من جديد بحياة المعرفة والحب**، ويُظهر عليه **العجائب الروحانية** من خلال آياته الخارقة للعادة ويملأ قلبه بجذب قوي لحبه الخاص الذي لا تدركه الدنيا. ففي هذه الحالة يقال إنه نال حياة جديدة لا موت بعدها.

فهذه الحياة الجديدة إنما تُنال بعد المعرفة الكاملة والحب الكامل. ومعرفة الله الكاملة تُنال بواسطة الآيات الخارقة. وحين يبلغ الإنسان هذا الحد يحظى بالمكالمة والمخاطبة الإلهية الصادقة. ولكن هذه العلامة أيضا ليست مما يمكن الاطمئنان إليه دون تحقق علامة الدرجة الثالثة لأن التزكية الكاملة أمر خفي قد يدَّعيه كل من يأتي بكلام هراء أيضا.

العلامة الثالثة للملهَم الصادق هي أن تشهد أفعال الله المتتالية على الكلام الذي ينسبه إليه ﷻ، أي يجب أن تظهر في تأييده آيات حتى يرى العقل السليم استحالة عدم كونه كلام الله لكثرة ما يؤيده الله تعالى بآياته. والحق أن هذه العلامة أقوى العلامات كلها لأنه من الممكن أن يجري على لسان الإنسان كلام أو أن يقدِّم أحد كلاما كإلهام ولا يتنافى مع بيان القرآن الكريم من حيث معناه بل يتوافق معه تماما ولكنه مع ذلك يمكن أن يكون كلام مفترٍ؛ لأن المسلم العاقل – وإن كان مفتريا – سوف يتنبه حتما ألا يقدّم كلاما يعارض القرآن الكريم مدّعيًا كونه إلهاما وإلا سيكون عرضة لاعتراضات الناس تلقائيا. ومن الممكن أيضا أن يكون هذا الكلام حديث النفس بمعنى أن تجري كلمة على اللسان تلقائيًا كما يجري ليلا على لسان الصغار ما قرءوه في الكتب نهارا.

باختصار، إن كون الكلام – الذي يقدَّم إلهامًا – مطابقا للقرآن ليس دليلا قطعيا على كونه كلام الله. أليس واردا ألا يكون الكلام من هذا القبيل متعارضا مع كلام الله من حيث معناه ويكون مع ذلك افتراء مفترٍ؟ فالمفتري يستطيع بكل سهولة أن يقدم كلاما منسجما مع تعليم القرآن الكريم ثم يقول إنه كلام الله النازلُ عليه، بينما يمكن أن يكون هذا الكلام حديث النفس أو كلام الشيطان.

كذلك لا يمكن الاطمئنان للشرط الثاني، وهو أن مدّعي الإلهام يجب أن يكون حائزا على تزكية النفس، بل هذا أمر خفيٌّ ويمكن أن يدّعي به كثير من ذوي الطبائع الخبيثة ويقولوا إننا حائزون على تزكية النفس ونحب الله حبا صادقا. إذن، فليس سهلا الحكم بين الصادق والكاذب في هذا المجال. ولهذا السبب قد ألصق كثير من أصحاب النفوس الخبيثة تهما قذرة بالأصفياء الذين كانوا حائزين على تزكية النفس كما يتهم القساوسة في العصر الراهن سيدَنا ومولانا النبي ﷺ ويقولون إنه كان يتبع أهواء نفسه، والعياذ بالله.

فتجدون مثل هذه التهم القذرة في ألوف من مجلاتهم وجرائدهم وكتبهم. كذلك يوجّه اليهود إلى عيسى عليه السلام أنواع التهم. فقد قرأت قبل فترة وجيزة كتاب يهوديٍّ لم يكتف فيه فقط بالافتراء القذر أن ولادته عليه السلام كانت غير شرعية – والعياذ الله – بل وجّه اعتراضات قذرة على سلوكه عليه السلام أيضا، وذكر بأسلوب خبيث للغاية النساء اللواتي كنَّ يخدمنه. فما دام الأعداء ذوو الطبيعة الخبيثة قد اعتبروا المقدسين أناسا شهوانيين وعدُّوهم خِلوًا تماما من تزكية النفس فبإمكان كل شخص أن يدرك مدى صعوبة إثبات تزكية النفس أمام الأعداء. فإن الآريا الهندوس يَعُدّون أنبياء الله تعالى جميعا مخادعين وشهوانيين ويعتبرون عصورهم عصور الخديعة والمكر السيئ.

أما العلامة الثالثة – أن يكون الإلهام والوحي الذي هو كلام الله مصحوبا بفعل الله تعالى أيضا – فهي **علامة كاملة** لا يسع أحدا دحضها. وبهذه العلامة ظل أنبياء الله الصادقون يغلبون الكاذبين دائما لأن الذي يدّعي نزول كلام الله عليه ثم تظهر معه مئات الآيات وتحالفه آلاف أنواع النصرة والتأييدات، ويتعرض أعداؤه لصولات قوية من الله فأنّى لأحد أن يعُدّ مثل هذا الشخص كاذبًا. ولكن من المؤسف أن كثيرا من الناس في الدنيا ينخدعون بهذا البلاء، بمعنى أنهم يتعرضون لحديث النفس أو وسوسة شيطانية فيعتبرونها كلام الله ولا يعبأون بالشهادة الفعلية بشيء.

نعم، يمكن أن يرى أحد رؤيا صالحة أو يتلقى إلهاما صادقا على سبيل الندرة ولكن لا يمكن أن يعدَّ هذا الشخص مأمورا من الله بناء على هذا القدر اليسير. كما لا يمكن القول إنه خلوٌ من ظلمات النفس. بل الدنيا كلها تقريبا تشترك في هذا القدر من الرؤى والإلهامات مع أنها ليست شيئا مذكورا. ولقد أُودع الإنسان قدرة على تلقّي الرؤيا والإلهام على سبيل الندرة لئلا يسيء العاقل الظن بأنبياء الله المصطفين، بل ليدرك أن بذرة

الوحي والإلهام مودَعَة في فطرة كل إنسان، وأن إنكار تطورها الكامل غباوةٌ.

أما الذين يُعَدُّون **ملهَمينَ ومكلَّمين** عند الله ويحظون بالمكالمة والمخاطبة ويُبعَثون لدعوة الخلق فإن الآيات الإلهية تنـــزل كالمطر لتأييدهم، ولا يسع الدنيا مبارزتهم. وإن فعل الله تعالى بكثرته يشهد أن الكلام الذي يقدمونه إنما هو كلام الله. فلو تنبه مدَّعو الإلهام إلى هذه العلامة لتجنبوا الفتنة.

كذلك لو تأمل "إلهي بخش" في الموضوع وتفكّر كم آية إلهية ظهرت لتأييده وكم تلقى من النصرة والتأييد وأي امتياز أُعطيه مقارنةً مع عامة الناس لما ابتُلي بهذا البلاء. ولكن لا بد من القول بأسف شديد إنه ترك وراءه بعد موته كومة من الكذب والافتراء. كان يقدم بحقي إلهاما قائلا إن هذا الشخص سيهلك بالطاعون في حياتي وستنفضّ جماعته وتتشتت، ولكنه هلك هو بنفسه بالطاعون. كان يدّعي أنه لن يموت ما لم يستأصلني ولكنه رأى بأم عينيه أن عدد جماعتي بلغ مئات الآلاف بعد إلهامه الكاذب. عندما بدأ بنشر إلهاماته من هذا القبيل، ما كان عدد جماعتي يربو على أربعين ألفا ولكنه بلغ بعد ذلك إلى أربع مائة ألف. ولم يمت إلا بعد أن شهدَ خيبته مقابل نجاحي في كل موطن ومن كل جهة. وبناء على إلهاماته الكاذبة كان يظن عند كل قضية تُرفع ضدي أنه سيُحكَم علي بالعقوبة وسأنال عذابا أليما. فكان يتلقّى إلهامات من هذا القبيل وكان ينشرها بين أصدقائه. ولكن الله تعالى برّأ ساحتي بالإكرام في كل قضية. أما هو فقد مات ميتة الخيبة والخسران الكبير. فمما لا شك فيه أنه حين أصيب بالطاعون ورأى الموت ماثلا أمام عينيه قد اعتبر جميع إلهاماته **كلام الشيطان**، ويكون قد تذكّر أنه مخطئ. إذ من غير المعقول ومما ينافي المنطق تماما أن يبقى ثابتا على حالته الأولى مع تعرضه لضربات قاسية، وإصابته بالطاعون الذي كان يتمنى أن أُصاب به أنا، وبتصوره نجاحاتي في لحظاته الأخيرة. لا بد أنه تحسّر كثيرا

كلما تذكّر أنه ادّعى أنه موسى وسمَّى كتابه "**عصا موسى**" وتمنى أن تُهلِك العصا من ادّعى أنه المسيح الموعود، وكذلك كلما تذكّر أنه كان قد تنبأ في كتابه "عصا موسى" أن شخصا ادَّعى أنه المسيح الموعود سيموت بالطاعون في حياته، وكلما تذكّر أيضا أنه تنبأ في الكتاب نفسه أنه لن يموت ما لم يدمّر عدوه هذا. فيمكن لكل شخص إدراك مدى تحسره وخاصة حين أصيب بالطاعون. فهل لأحد أن يتصور أنه كان موقنا بكونه موسى مع استبانة خيبة آماله إلى هذا الحد، وبطلان كافة إلهاماته ثم إصابته بالطاعون؟ كلا، ثم كلا، ثم كلا، بل لا بد أن يكون الطاعون قد حطّم كافة أفكاره ونبّهه إلى كونه مخطئا. وكان الله تعالى قد كشف علي قبل هذا الحادث بفترة طويلة أنه لن يبقى ثابتا على تلك الأفكار الفاسدة بل سيتراجع عنها في نهاية المطاف.

فمما لا شك فيه أنه حين أصيب بالطاعون فجأة وتعرض للموت في غير أوانه – وكان يعرف جيدا كونه في غير أوانه وعلى عكس ما ادّعاه – فلا بد أن يكون ذلك قد جعله يوقن أن كافة إلهاماته كانت من الشيطان. وفي هذه الحالة يكون قد أدرك بحسرة لا علاج لها أنه كان مخطئا، وكل ما اعتبره من الله لم يكن منه ﷻ.

وسنبين لاحقا أنه كان ضروريا له أن يدرك ذلك لأن مشهد الموت قد أدى إلى بطلان كلامه الإلهامي المزعوم وسقوطه كما يسقط الحائط دفعة واحدة. فكان متعذرا عليه أن يظن أنه ناجٍ من الطاعون، لأن وطأة الطاعون في لاهور – قُبيل موته في ٧ نيسان/أبريل ١٩٠٧م – كانت شديدة وفتّاكة جدا لدرجة كان يموت أكثر من مئتي شخص يوميا في بعض الأيام. كما مات أحد أقاربه أيضا بالطاعون قبله بيوم واحد واشترك هو في جنازته وعاد مصابا بالطاعون. فمن يستطيع القول في حالة الإصابة بهذا المرض الفتاك إنه

سينجو منه؟ بل الحق أن مئات الآلاف من الناس يوصون لورثتهم فور إصابتهم به.

باختصار، فإن موسويّته ذهبت أدراج الرياح فور إصابته بالطاعون. ولا بد أن يكون قد أدرك، نظرا إلى آلاف الأموات وخاصة إثر تصوره بموت يعقوب، أنه أيضا ميت لا محالة. فكيف يمكن أن يظل قائما في هذه الحالة على دعوى كونه موسى؟ فمن رحمة الله عليه أنه لم يذهب بعقائده الفاسدة بل قد أخذه الله بعنقه وأجبره على التراجع عنها فأصبح من الذين يقول الله تعالى عنهم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. سأورد هنا أولا الإلهامات التي سجلها في كتابه "عصا موسى" وقد ثبت بطلانها كافة، ثم سأبين أنه مات حسب نبوءتي وأن موتَه آيةٌ على صدقي بل إن موته برهن على صدقي. وسأقسم هذا البيان إلى بابَيْنِ.